دورالوسيط في ترجمة الشعرالأردي الى العربية نظماً

د . إبراهيم محمد إبراهيم*

تمهيد

اعتمدت اللغة والأدب الأردي في البداية اعتمادا كبيرا على الترجمة من اللغات الأخرى ، وخاصة اللغة العربية واللغة الفارسية في بناء الثروة اللفظية وتغذية هذا الأدب الوليد ، فكانت الترجمة بمثابة العمود الفقري لها ، ولهذا فقد استطاعت هذه اللغة ، رغم أن عمرها الأدبي لا يتجاوز خمسمائة عام بكثير ، أن تكون لنفسها تراثا ضخما يحق لها أن تفخر به ، ومع ذلك فقد ظلت اللغة الأردية لفترة كبيرة – ولا تزال – لغة مستقبلة أكثر منها لغة مرسلة ، وهذا أمر لا نعجب له ، إذ أنها نشأت واشتد عودها على الاستفادة والنقل من اللغات من داخل شبه القارة الهندية الباكستانية وخارجها ، ولهذا لم تنل – إلى فترة وجيزة – حظا من الشهرة باعتبارها لغة تنقل عنها اللغات الأخرى وخاصة في ميدان الشعر كما هو الحال على سبيل المثال في اللغة العربية ، إلى أن جاء العلامة محمد إقبال واشتهر شعره ، وذاع صيته في أرجاء الدنيا ، وذاع معه صيت اللغة الأردية ، وسارت معه حيث سار ، وتمت ترجمة أشعار إقبال إلى معظم لغات الدنيا ذات الانتشار الواسع ، كما ترجمت أشعار آخرين غيره ، وإن لم تحظ بما حظيت به أشعار إقبال .

لكن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي أن تعرف اللغة العربية على الشعر الأردي جاء متأخرا إلى حد كبير ، بل إن إقبال الذي عرفته الدنيا شرقا وغربا حال حياته – بل وفي المراحل الأولى منها– لم تعرفه العربية إلا بعد وفاته بأكثر من عشر سنوات ، ولذلك أسبابه التي من أهمها الظروف التي كانت تعيشها دول العالم الإسلامي كله تقريبا في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، إذ كانت ترزح تحت نيران الاستعمار الذي عمل بكل طاقته على أن لا يدع لشعوب هذه الدول نافذة مفتوحة قد يتسلل منها شعاع الأمل ذات يوم فيدفعهم إلى النهوض من الرقاد والانتباه من الغفلة .

وبالرغم هذا فإن اللغة العربية قد سبقت لغات أخرى كثيرة في هذا المجال بفضل الله تعالى ثم بفضل المصريين الذين كانوا دائما في طليعة أبناء العروبة السباقين إلى ينابيع العلم والمعرفة ، وكان طبيعيا أن تبدأ الترجمة من الشعر الأردي على أيدي المصريين ، وأن يتم التعارف بين شعر إقبال وغيره والشعر العربي بواسطتهم وفي حضورهم ، ويأتي اسم الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام رحمه الله تعالى على رأس قائمة الشرف لأولئك الذين ترجموا أشعار إقبال الفارسية والأردية إلى العربية شعرا ، والذي يهمنا هنا هو الترجمة التي قام بها سيادته لشعر إقبال الأردي ....

ثم تتوالى الأسماء في قائمة الشرف ، فيأتي اسم المرحوم فضيلة الشيخ الصاوي علي شعلان ، ثم الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري ، والأستاذ زهير ظاظا والأستاذ عبد المعين الملوحي من سوريا الشقيقة ، والشاعر الكبير محمد محمود الزبيري من اليمن الشقيق ، وربما كان هناك غيرهم .

ثم وسع المصريون من دائرة تعرفهم إلى الشعر الأردي ، فحاولوا التعرف على شعراء آخرين إلى جانب إقبال ، فكان الشاعر ألطاف حسين حالي ومسدسه " مد و جزر إسلام " أو كما اشتهر فيما بعد باسم " مسدس حالي " ، وكذلك الشاعر حفيظ جالندهري ومنتخبات من رائعته " شاهنامه إسلام " ، ثم أخيرا الشيخ أحمد رضا خان البريلوي وديوانه الأردي " حدائق بخشش " . وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذه الترجمات التي تمت لأشعار من هم سوى إقبال من شعراء الأردية إلى العربية

---

* رئيس قسم اللغة الأردية بجامعة الأزهر – مصر

شعرا قام بأكثرها الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري ، ولم يتقدم آخرون غيره باستثناء الزبيري – على حد علمنا – إلى هذا المجال حتى وقتنا هذا .

هذا عن الترجمات المنظومة للشعر الأردي ، أما الترجمات النثرية من هذا الشعر فكانت أكثر تنوعا ، وضمت عددا أكبر من الشعراء بما فيهم إقبال ، لكن هذه الترجمات في معظمها تمت في الرسائل العلمية – ماجستير ودكتوراه – داخل أروقة الجامعات المصرية في فترة لا تتجاوز الربع قرن تقريبا ، ولذا فقد فقدت جزءا كبيرا من أهميتها بمجرد حصول الباحث على الدرجة العلمية التي سجل من أجلها رسالته ، ويعود السبب في ذلك إلى أن هذه الترجمات قام بها الباحثون في مرحلة سنية مبكرة ، جنبا إلى جنب مع افتقادهم – بطبيعة الحال – إلى تراكم الخبرات اللازم للخروج بترجمة جيدة ، ولذلك فلن نتعرض لها بالدراسة والنقد في هذا البحث ، إذ سيكون ذلك ظلما لأصحابها ، إلا أن يعيدوا النظر فيها ، ويقوموا بتنقيحها وإصدارها في كتب لعامة القراء ، حينئذ تصبح دراستها وتناولها بالتحليل والنقد أمرا لا مفر منه ، وعلى أية حال فإننا هنا سنقصر بحثنا – طبقا لعنوانه – على الترجمات المنظومة والتي كان للوسيط دور فيها ، وتم طبعها ، وهي بين أيدينا

والوسيط الذي نقصده هنا ليس هو الوسيط المقصود في مصطلح الأدب المقارن من أنه الشخص الذي يقوم بنشر أدب لغة ما وتراثها بين اللغات الأخرى، وإنما الوسيط الذي نعنيه هنا هو ذلك الشخص الذي يتوسط بين الشاعر المنقول عنه ، والشاعر الذي يصوغ الأشعار في اللغة المنقول إليها ، أي أنه الشخص الذي يقوم بترجمة الأشعار الأصلية إلى نثر ، ونقل مفهومها إلى الشاعر الذي يقوم بصياغة هذه الترجمة وهذا المفهوم إلى اللغة التي ينقل إليها . ورغم أن الوسيط في اصطلاح الأدب المقارن ، والوسيط الذي نقصده هنا يشتركان في أن كلا منهما يسهم في نشر أدب لغة ما بين اللغات بنسب متفاوتة ، وهي نفس النسبة التي يشتركان فيها باعتبار كل منهما وسيطا ، إلا أن الوسيط الذي نعنيه هنا ينحصر دوره في الترجمة وشرح المعاني ، بينما الوسيط كاصطلاح للأدب المقارن هو صاحب الدور الأكبر ،وهو الذي يتجه إليه القارئ مباشرة حين يطالع ما يكتبه ، إذ أن دوره هنا لن ينحصر في الترجمة أو النقل والصياغة فقط ، وإنما يمتد ليشمل الكتابة والتأليف بما يساعد في التعريف بالأدب المنقول عنه لدى قراء الآداب الأخرى . وقد يكون الوسيط لغة ثالثة بين اللغة المنقول عنها واللغة والمنقول إليها ، بمعنى أن تكون هناك ترجمة لأشعار اللغة التي يقصد النقل عنها إلى لغة غير اللغة التي سيصوغ الشاعر الناقل فيها هذه الأشعار الأصلية – وهي في حالتنا هذه اللغة العربية - ، وظاهر أنه في كل الأحوال ستكون هناك فرضية بأن الشاعر الناقل لا يعرف اللغة الأصلية تماما ، أو أنه بعرفها ، ولكن ليس بالقدر الذي يمكنه من استيعاب المعنى على الوجه الذي يرمي إليه الشاعر الأصلي ، وهنا يصبح لزاما عليه أن يستعين بمترجم ينقل إليه معنى الأشعار ويشرحها له . وقد يذكر الشاعر الناقل اسم هذا الوسيط بشكل واضح

على غلاف الترجمة جنبا إلى جنب مع اسمه باعتباره مترجما إلى النثر، وهو – أي الشاعر – صاحب الصياغة ، وقد يذكره ضمنا في المقدمة ، أو في هامش من الهوامش ، وقد لا يذكره أصلا ، وفي كل الأحوال نادرا ما تتضمن الصياغة الشعرية نص الترجمة النثرية التي قام بها الوسيط ، وهو ما يجعل من تحديد مسئولية الأخطاء أمرا صعبا ، وبالتالي تتوزع المسئولية بين الوسيط والشاعر الناقل ، بينما لو كان الوسيط لغة ، فإن النص هنا يصبح في متناول اليد ، وبالتالي يمكن للباحث تحديد مسئولية الأخطاء بدقة . هذا وقد لعب الوسيط بقسميه – الشخص واللغة – دورا خطيرا في ترجمة الشعر الأردي إلى العربية نظما ، وهو ما سوف نتناوله في مقالنا .

المبحث الأول :
دور الوسيط في ترجمة أشعار إقبال الأردية إلى العربية نظماً :

لقد كان المصريون – كما سبق أن أشرنا – أول من عرف العالم العربي بالمفكر العظيم محمد إقبال، ويرجع الفضل في ذلك إلى المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام الذي ترجم من شعره الفارسي أول الأمر ديوان الأسرار والرموز،ثم ترجم له ديوانه الأردي ضرب الكليم الذي طبع ونشر لأول مرة في القاهرة عام 1952م .

كان الدكتور عبد الوهاب عزام رحمه الله موسوعة لغات ، إذ كان يجيد اللغة الفارسية واللغة التركية واللغة الأردية واللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية بالإضافة للغة العربية ، وقد أثرى هذه اللغات جميعا بالتأليف فبها والترجمة منها وإليها ، وكان رحمه الله من عشاق إقبال ومحبيه ، وكان يطلق عليه الشاعر الفيلسوف المؤمن ، وفي باكستان حيث كان سيادته يعمل سفيرا لمصر ، كانت تجتمع عنده مجموعة كبيرة من محبي إقبال ومريديه سماهم " دراويش إقبال " يتدارسون فيما بينهم أعمال الشاعر العظيم رحمه الله .

أما ديوان " ضرب الكليم " الذي ترجمه الدكتور عبد الوهاب عزام من الأردية إلى العربية شعرا فقد ترجمه استجابة لاقتراح من أحد أصدقائه الباكستانيين المحبين لإقبال وهو الأستاذ غلام أحمد برويز صاحب معارف القرآن (2) ، وبدأ الدكتور عبد الوهاب عزام الترجمة ليلة الاثنين حادي عشر شوال عام 1370هـ / السادس عشر من تموز عام 1951م ، ويسر الله له الفراغ من الترجمة عشاء ليلة الأحد الثامن عشر من صفر الخير عام 1371هـ/ الثامن من تشرين عام 1952م ، وكتب مقدمة لها بمدينة كراتشي في التاسع عشر من جمادى الثانية عام 1371هـ / الخامس عشر من آذار عام 1952م .

وتتميز ترجمة الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام رحمه الله لديوان إقبال الأردي " ضرب الكليم " بمميزات نذكر منها :

1 – أنه قد ترجم الديوان كاملا ، ولم يترك منه إلا النذر اليسير .

2 – قدم في الهامش شروحا وتعليقات لما يحتاج إلى بعض الوضوح من مصطلحات إقبال وفلسفته .

3 – حرص على أن تكون الترجمة أقرب ما تكون إلى روح النص الأصلي من حيث المعنى وعدد الأبيات كذلك ، حيث تساوت الترجمة مع الأصل في أكثر منظومات الكتاب فيما يتعلق بعدد الأبيات .

وبإحصاء منظومات الديوان كلها وجد أن عددها (204) منظومة ومقطوعة ، اتفقت ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام مع الأصل في عدد الأبيات في (119) منها ، وترك ثلاث منظومات بغير ترجمة هي : " اشتراكيت : الاشتراكية " " كارل ماركس : كارل ماكس " و " خواجكى : السيادة " ، وربما سقطت هذه المنظومات من الترجمة سهوا ، إذ لا يوجد ما يرجح إسقاطها عمدا.

كما بدل الدكتور عبد الوهاب عزام قليلا في بعض عناوين المنظومات ، وإن كانت كلها تغييرات لا تؤثر في الموضوع ، وإنما تزيده إيضاحا ، لكن الإشارة إلى هذه التغييرات أمر واجب . هذا وقد جاءت ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام على قدر كبير من الالتزام والدقة والأمانة لأسباب منها :

1 – أن الدكتور عبد الوهاب عزام كان محبا لإقبال معجبا بفكره .

2 – أن الدكتور عبد الوهاب عزام كان مستوعبا استيعابا كاملا لفلسفة إقبال .

3 – أن الدكتور عبد الوهاب عزام كان أديبا بارعا ، وشاعرا موهوبا .

4 – أن الدكتور عبد الوهاب عزام كان ذا ثقافة وميول إسلامية عميقة مثله في ذلك كمثل إقبال .

5 – معرفته باللغة الأردية ، واستعانته في فهم أشعار إقبال بمن هم على معرفة بها وفهم عميق لها .

6 – أن الدكتور عبد الوهاب عزام كان على قدر كبير من الثقافة ويجيد العديد من اللغات الشرقية والأجنبية .

7 – أن الدكتور عبد الوهاب عزام قد أتيحت له الفرصة للحياة في بلاد إقبال ، مما وفر له الجو الروحي الذي يزيد في الإلهام الشعري ويقويه .

ولا شك أن الدكتور عبد الوهاب عزام قد واجه صعوبات كثيرة أثناء الترجمة ، وخاصة أنها من شعر ممتزج بالفلسفة وعمق الفكر ، إلى شعر عربي متين ، مع التزام وأمانة في النقل وعرض الفكرة والمعنى . صحيح أن هذه لم تكن المرة الأولى التي يترجم فيها الدكتور من شعر إلى شعر ، فقد سبقت ترجمة ديوان " ضرب الكليم " ترجمته من الفارسية لديوان إقبال " بيام مشرق : رسالة الشرق " ، وطبع الديوان في كراتشي في الذكرى الثالثة عشرة لوفاة إقبال في أبريل عام 1951م ، وقدمت جماعة إقبال الديوان العربي إلى حاكم باكستان العام في ذلك

الوقت في احتفال رسمي حاشد (8) ، لكن الدكتور عبد الوهاب عزام يعترف بما واجهه من صعاب في هذه الترجمة،يقول:"لقيت في ترجمة ضرب الكليم عناء أكثر مما لقيت في ترجمة بيام مشرق،إذ حرصت على ألا تذهب الترجمة بقسمات الشعر فيه،وألا ينصل بها الخضاب الشعري القليل،وألا يذبل هذا الزهر الصغير بالانتقال من روضة إلى روضة،وألا تضيع الدقائق الشعرية بين لغتين مختلفتين وأسلوبين من البيان متباعدين"(9).

وعندما ترجم الدكتور عبد الوهاب عزام ديوان " الأسرار والرموز " من الفارسية إلى العربية شعرا أشار إلى مثل هذه الصعوبات بقوله : " وكنت أحسب أن ترجمة هذا الديوان " الأسرار والرموز " أيسر من ترجمة الديوانين " رسالة المشرق وضرب الكليم " لأنه منظوم في بحر واحد هو الرمل ، على القافية المزدوجة التي تتغير فيها التقفية في كل بيت – وهي التي تسمى المثنوي في اصطلاح الأدب الفارسي– ولكن الترجمة طالت أكثر مما قدرت ، إذ كان الديوان نظما متصلا لا ينشط المترجم فيه نشاطه حين يترجم قصيدة من ديوان ، فيرى أنه أتم عملا ، فيستأنف ترجمة قصيدة أخرى فيتمها ، وهلم جرا ، ولا أعرض لطريقة الترجمة ، ولا أتحدث عن صعوبتها ، ولا سيما ترجمة النظم بالنظم على اختلاف اللغتين في المجازات والأساليب، وعلى غرابة الموضوع ، فقد أبنت عن هذه وهذه في مقدمة الديوانين " رسالة المشرق وضرب الكليم" (11).

ونسوق هنا – إتماما للفائدة – بعض النماذج من ترجمة الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام لديوان " ضرب الكليم " لنتبين إلى أي مدى نجح في ترجمة الديوان،النموذج الأول مقطوعة من القسم الثالث الخاص بالمرأة من الديوان بعنوان الرجل الإفرنجي (12) وهي ترجمة لمقطوعة من الديوان بعنوان مرد فرنگ :

بزار بار حكيمون نـ اس كو سلجهايا
مكر يه مسئله زن ربا وبين كا وبين
قصور زن كا نهين هـ كجهـ اس خرابى مين
كواه اس كى شرافت به بين مه وبروين
فساد كا هـ فرنكى معاشرت مين ظهور
كه مرد ساده هـ بيجاره زن شناس نهين

وهذه هي الترجمة النثرية للمقطوعة :

آلاف الحكماء حاولوا حل مشكلة المرأة ... لكنها بقيت كما هي .
ليس للمرأة ذنب في هذه المشكلة ... فالكواكب شاهدة على شرفها .
ظهر الفساد في مجتمع الفرنجة ... لأن الرجل ساذج لا يعرف المرأة .

وترجمها الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام كالتالي :

كم حكيم قد تمنى حله — مشكل المرأة في هذي الحياة
لا تلمها في فساد شائع — شهدت بالطهر كل النيرات
عشرة الإفرنج نهج مفسد — جهل الحمقى طباع المحصنات

ولنتأمل عبقرية الدكتور عبد الوهاب عزام حين ترجم " شرافت " بـ " الطهر " ، وترجم " لأن الرجل ساذج لا يعرف المرأة " بقوله : " جهل الحمقى طباع المحصنات " ، فالطهر لفظ يناسب وصف المرأة ، وأضاف لفظ " المحصنات " قداسة وجمالا إلى المعنى ، وإن لم يوجد في النص الأصلي ، لكن تفاعل الدكتور عبد الوهاب عزام مع فكر إقبال جعله يعرف أن إقبال قصد هذا المعنى أيضا .

النموذج الثاني : مقطوعة من نفس القسم بعنوان " حرية النساء " (13) ، وهي ترجمة لمقطوعة بعنوان " آزادىء نسوان " ، يقول إقبال :

اس بحث كا كجھ فيصله مين كر نهين سكتا
كو خوب سمجهتا هون كه يه زبر هـ ، وه قند
كيا فائده كجھ كهـه كـ بنون اور بهى معتوب
بهلـ هى خفا مجھ سـ بين تهذيب كـ فرزند
اس راز كو عورت كى بصيرت هى كريـ فاش
مجبور بين ، معذور بين ، مردان خردمند
كيا جيز هـ آرائش وقيمت مين زياده
آزادىء نسوان كه زمرد كا كلوبند

والترجمة النثرية لهذه المقطوعة كما يلي :

لا أستطيع أن أقرر شيئا في هذا الجدل مع أني أعرف أن هذا سم وذاك سكر
ما فائدة أن أقول شيئا أزداد به ملامة فأبناء التمدين غاضبون مني قبلا
هذا السر تجليه بصيرة المرأة فقط وعقلاء الرجال مجبورون معذورون
أي الأمرين أكثر قيمة وجمالا : حرية النساء ، أم زمردة حول العنق ؟

وقد ترجمها الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام بنفس عدد الأبيات كما يلي :

قضيـة عصـر لست فيها بفيصل
وإن كنت بين الشهد والسم أفرق
وما نفع أقوال تزيـد ملامتـي
وقبلا بنـو التمـدين عني تفرقوا
يبين هذا السر وجـدان مرأة
ويعجـز عنـه في الرجال المحقق
أ حريـة النسـوان أجمل زينـة
أم الجـيد بالدّر الثمين يطـوق

ولننظر إلى كلمة " عصر " التي أضافها الدكتور عبد الوهاب عزام إلى الشطر الأول من البيت الأول وما أضافته من وضوح في المعنى واتساعه ، ومن الصعب أن يظن من يقرأ هذه الأشعار أنها مترجمة عن نص آخر من لغة أخرى، وهو أمر لا نلمسه إلا عند المترجم الذي ينقل بغير وسيط بينه وبين النص الأصلي

النموذج الثالث : مقطوعة من قسم الأدب والفنون بالديوان ، وهي بعنوان " أهرام مصر " (14) وترجمها الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام بنفس العنوان، يقول إقبال :

اس دشت جكر تاب كى خاموش فضا مين
فطرت نـ فقط ريت كـ تيلـ كيئـ تعمير
اهرام كى عظمت سـ نكونسار بين افلاكـ
كس باتهـ نـ كهينجى ابديت كى يه تصوير
فطرت كى غلامى سـ كر آزاد هنر كو
صياد بين مردان هنر مند كه نخجير

وهذه هي الترجمة النثرية للمقطوعة :

في الفضاء الصامت لهذه الصحراء المحرقة
شيدت الفطرة كثبانا من الرمال فقط
والأفلاك خجلة من عظمة الأهرام
أي يد رسمت هذه الصورة الخالدة
حرر الفن من عبودية الفطرة
رجال الفن صيادون أم صيد ؟ !

وصاغها الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام شعرا كما يلي :

شادت الفطـرة كثبانا لها　　في سكون من يباب قد وقد
روع الأفلاك فيـه هرم　　أي كف صورت هذا الأبد
من إسار الكون حرر صنعة　　صائد ذو الفن أم صيدا يعد

وهكذا في باقي الديوان الذي تميزت ترجمتـه بقدر كبير من الإجادة والاقتراب من الأصل ، وتضمنها للمعنى كاملا دون نقصان ، وبلغتها العربية الجميلة، ثم بشاعريتها التي تمتع القارئ رغم أنها ترجمة ، وذلك لخلوها إلى حد كبير من السمات التي تشير إلى أن هذه الأشعار مترجمة عن نص آخر ، وذلك راجع إلى كون الدكتور عزام شاعرا ذا حس مرهف ، وفي نفس الوقت يملك ناصية اللغة العربية . ويبقى السؤال : هل كان للوسيط دور في ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام أم لا ؟ .

لا نستطيع أن نجزم جزما مطلقا بوجود وسيط في هذه الترجمة ، إذ أن المصادر تشير إلى أن الدكتور عزام كان يعرف الأردية ، ثم إن إقامته في باكستان كسفير لمصر بها صقلت هذه المعرفة ، وتدل ترجمته بشكل واضح على إجادته للغة الأردية وذلك لقربها الشديد من الأصل كما سبق أن ذكرنا ، رغم أن الدكتور عبد الوهاب عزام قد أشار في مقدمة ترجمة الديوان إلى المجلس الذي كونه من محبي إقبال في السفارة المصرية بكراتشي ، وهذا – في الحقيقة – لا يعني أكثر من أن الجلسات التي كانت تعقد في السفارة المصرية قد أفادت في فهم واستيعاب مضامين

أشعار إقبال ، ولم تتعداها إلى كونها وسيط يترجم من الأردية إلى العربية نثرا ، ثم يقوم الدكتور عبد الوهاب عزام بالصياغة الشعرية العربية.

ومن الذين ترجموا للعلامة محمد إقبال الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري – رحمه الله - والذي بعد بحق من رواد الدراسات الشرقية في مصر ، فهو صاحب علم وفضل في اللغات الشرقية ، وخاصة اللغة التركية واللغة الفارسية ، كما أنه على معرفة باللغة الأردية وأدبها ، وله العديد من المؤلفات والدواوين ، فهو شاعر مجيد وصاحب أسلوب متميز . وقد ترجم الدكتور حسين مجيب المصري لإقبال من الفارسية مثنوي جاويد نامه : رسالة الخلود إلى العربية شعرا تحت عنوان في السماء ، ونشر لأول مرة في القاهرة عام 1973م، وترجم كذلك القسم الفارسي من ديوان ارمغان حجاز تحت عنوان هدية الحجاز ، ونشر بالقاهرة عام 1975م .

هذا وقد ترجم الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري للعلامة إقبال من اللغة الأردية إلى العربية شعرا عدة منظومات وقصائد هي : دعاء – دعاء طارق في ميدان حرب الأندلس – أول نخلة عرفها الأمير عبد الرحمن الأول في الأندلس – استغاثة المعتمد في السجن – أسبانيا ، وأطولها منظومة " جامع قرطبة " ، والتي تضم في الأصل أربعة وستين بيتا ، وجاءت الترجمة في ستة وستين بيتا ، ونشرت ضمن كتاب " الأندلس بين شوقي وإقبال " والذي صدرت الطبعة الأولى منه في القاهرة عام 1994م . وقد كان الوسيط في هذه الترجمة أحد أبناء الهند ممن يتحدثون بالأردية ، وكان يدرس في مصر وقتها ، وقد وجه الدكتور حسين مجيب المصري الشكر له في حاشية صفحة 335 من الكتاب .

وقد جاءت الترجمة في عمومها متوسطة المستوى تفتقد في بعض الأحيان إلى الربط الموضوعي بين أبياتها ، ويعود السبب في ذلك – على الراجح– إلى الوسيط الذي فشل في بعض الأحيان – على ما يبدو – في توصيل المفهوم الدقيق لأشعار إقبال إلى الدكتور حسين مجيب المصري ، إما لضعف لغته العربية – وهو أمر طبيعي لكونه من غير أهل اللغة العربية – أو لعدم استيعابه للمعنى الذي قصده إقبال ، ويقوي هذا الاستنتاج هذا النموذج من الترجمة النثرية التي قام بها الوسيط الهندي للدكتور حسين مجيب المصري ضمن ترجماته لأندلسيات إقبال التي صاغها الدكتور حسين شعرا ، والترجمة تفتقد إلى الدقة التي تفقد المعنى بدورها مقصوده ، يقول إقبال متحدثا عن قرطبة:

هـ زمين قرطبه بهى ديدهء مسلم كا نور
ظلمت مغرب مين جو روشن تهى مثل شمع طور
بجهـ كـ بزم ملت بيضا بريشان كر كئى
اور ديا تهذيب حاضر كا فروزان كر كئى

وترجمة هذين البيتين كما يلي :

أرض قرطبة نور عين المسلم ...التي كانت مضيئة في ظلام الغرب كشمع الطور.

فرقت بانطفائها محفل الملة البيضاء ... وأضاءت مصباح الحضارة المعاصرة .
وجاءت ترجمتها النثرية في كتاب " الأندلس بين شوقي وإقبال " للدكتور المصري ، كما يلي :

أنت يا قرطبة في عين المسلم نور . كنت في ظلمة كالنور في شمعة الطور
ولما انطفأ ما لنورك من لألاء .:. خيمت الوحشة على محفل الملة البيضاء ،
أما سراج الحضارة فما عاد يشع الضياء .

ومع ذلك فمن الإنصاف للوسيط الهندي الإشارة إلى وضوح أسلوب الدكتور حسين مجيب المصري في هذه الترجمة والذي ينم عنه هذا السجع ، وهذه التقفية الواضحة فيها .

والوسيط الثاني الذي تعاون مع الدكتور حسين مجيب المصري في ترجمة أندلسيات إقبال هو أحد المصريين الذين درسوا الأردية في مصر ، وكان يعمل وقتها معيدا على الأرجح ، وقد ذكره الدكتور مجيب المصري في هامش صفحة 257 من الكتاب سالف الذكر ، ولهذا جاءت الترجمة في أحيان كثيرة ناقصة غير مستوعبة للمعنى كاملا ، فجاءت صياغتها الشعرية ناقصة أيضا ، وهذه نماذج لتوضيح هذا الإجمال، النموذج الأول مقطوعة بعنوان " دعاء " كتبها إقبال في أثناء زيارته لمسجد قرطبة وردت ترجمة معظم أبياتها شعرا في كتاب " الأندلس بين شوقي وإقبال " ، يقول إقبال :

هـ يهى ميرى نماز ، هـ يهى ميرا وضو
ميرى نواؤون مين هـ ميريـ جكر كا لهو
راه محبت مين هـ كون كسى كا رفيق
ساتهـ مريـ ره كئى ، ايكـ مرى آرزو !
تجهـ سـ مرى زندكى سوز وتب ودرد وداغ
تو هى مرى آرزو ، تو هى مرى جستجو
فلسفه وشعر كى اور حقيقت هـ كيا
حرف تمنا جسـ كهه نه سكين روبرو

وهذه هي الترجمة النثرية للأبيات السابقة المقتطفة من مقطوعة إقبال :

في نغماتي دماء كبدي ... وهذه هي صلاتي ، وهذا هو وضوئي
من الذي يبقى رفيقا لأحد في طريق المحبة ... وأنا لم يبق برفقتي سوى أمنيتي
حياتي بك تمتلئ حرقة وألما وحرارة ... فأنت أمنيتي ، وأنت مطلبي
ما حقيقة الفلسفة والشعر غير أنه تعبير عن الأماني التي لا نستطيع التعبير عنها وجها لوجه .

وقد جاءت الصياغة الشعرية لهذه الأبيات كما يلي :

وضوئي طهوري وذي ركعتـي ... ومهجة قلبي بها نغمتـي
طـريـق المـحبة ذا أقفـرا ... فما من رفيق معي قد يرى
حيـاتي ذنـوب بهـا توقد ... وإنك وحـدك من يقصد

وذلك شعري ومن حكمتي عجزت أمامك عن قولتي

النموذج الثاني : من مقطوعة لإقبال بعنوان " عبد الرحمن أول كا بويا هوا كهجور كا بهلا درخت سرزمين أندلس مين " ، يقول إقبال :

ابني وادي سـ دور هون مين ميريـ ليئـ نخل طور هـ تو

غربت كى هوا بارور هو ساقى تيرا نم سحر هو !

والترجمة النثرية للبيتين كما يلي :

أنا بعيد عن وادي " وطني " .... فأنت لي كنخل الطور

فلتثمري في هواء الغربة .... وليكن ساقيك ندى الصباح

بينما جاءت الصياغة الشعرية كما يلي :

وأرضك عني بعيد بعيد كأني في الطور نخلا أريد

أنا في غموم أنا في اغتراب فجئني بسحرك ساقي الشراب

وكما هو واضح ، فإن الترجمة في واد ، والأصل في واد آخر ، بل إن بها من الأخطاء في فهم الجملة الأردية من تلك الأخطاء التي لا يقع فيها إلا الدارس في مراحل دراسته الأولى ، فالجملة " ابنى وادى سـ دور هون مين " بها ضمير الملكية العام " ابنى " وهو يفيد ملكية الشيء لفاعل الجملة ، لكن الدارس دائما ما يفهم خطأ تبعيته للمخاطب وذلك لقربه لفظا من ضمير التعظيم الشخصي " آب "، وهو ما حدث هنا بالفعل . وهنا تنبغي الإشارة إلى أن الترجمات التي كان الوسيط فيها من المتحدثين بالأردية أفضل حالا من تلك التي كان الوسيط فيها دارس مصري ، والفارق بينهما هو نفس الفارق بين ترجمة كل منهما ، وهذا لا يمنع من القول بأن كلا منهما قد اجتهد في الترجمة قدر استطاعته ، ولم يكن في الإمكان – وقتها – أبدع مما كان . ومع ذلك فقد جاءت الترجمة جيدة في بعض أبيات المنظومة ، وهو أمر يحمد للوسيطين ، وبطبيعة الحال للأستاذ القدير الدكتور حسين مجيب المصري .

وهناك أمر آخر ربما كان من بين أسباب ضعف الترجمة وهو أن العلامة محمد إقبال قد كتب منظوماته السابقة في هيئات فنية معينة على شكل وحدات مستقلة تضم كل وحدة منها سبعة أبيات أو أقل أو أكثر في قافية موحدة، وفي نفس الوقت تتصل الوحدات جميعها في المعنى مما يعد من أشكال المسمط، بينما ترجمها الدكتور حسين مجيب المصري في شكل المثنوي الذي لا يستطيع التعبير بشكل جيد عن موضوع المنظومات كموضوعات حضارية وفكرية عميقة، في حين أن المثنوي تناسبه القصص والموضوعات التعليمية بشكل أكبر. هذا ولا بد أن نضع في الاعتبار عند قراءة ترجمة الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري ذلك الفارق الذي يكون بين شاعر وآخر مما يمنحه الله لأحدهما دون الآخر.

ومن الذين ترجموا للعلامة إقبال من الأردية إلى العربية شعرا الأستاذ السوري زهير ظاظا ، حيث ترجم له ديوان " بال جبريل : جناح جبريل " ، ونشرت هذه الترجمة في طبعتها الأولى في سوريا عام 1989م ، وكان الوسيط في

هذه الترجمة هو الترجمة النثرية التي قام بها الأستاذ السوري عبد المعين الملوحي للديوان عن الترجمة الفرنسية له والتي قام بها الأستاذ مرزا سعيد الظفر جغتائي بالتعاون مع الفرنسية سوزان بوزاك ، وكان عنوان الترجمة الفرنسية كالتالي :

SPIRITUAITES VIVANTES
COLLECTIONS PUBLIEES SOUS LA DIRECTION DE
JEAN HERBERT
SERIE ISLAM
MOHAMMAD IQBAL
L, AILE DE GABRIEL
(BAL- E- DJIBRIL)
Texte ourdou traduit par
MIRZA SAID-UZ-ZAFAR CHAGHTAI
Et SUZANNE BUSSAK

وقد وصف الأستاذ زهير ظاظا ترجمة عبد المعين الملوحي بأنها " وإن لم تكن عن الأصل مباشرة فإنها قد اكتسبت من خبرته بفلسفة إقبال وشعره ما ضمن لها الدقة والأصالة في نقل مشاعر إقبال " (16) ، ووصف ترجمته بأنها " ملحق لما قدمه الأستاذ عبد المعين الملوحي من ذخر للمكتبة العربية بترجمته لجناح جبريل ، ولا يمكن أن يوصف بأنه مستقل عنه " (17) . ويقول كذلك : " وقد حاولت قدر الإمكان أن ألتزم ألفاظ الترجمة في الأصل ، وأن أبقي على ما ورد من أسماء الأعلام ليأخذ القارىء فكرة عن موسوعية إقبال الثقافية ، وصدرت كل قصيدة برقم صفحتها في الأصل لتسهيل العودة إليها عند الاستشكال" (18) . وأما السبب الذي دفع زهير ظاظا إلى ترجمة الديوان فهو كما يذكر في المقدمة قائلا : " والشيء الوحيد الذي دفعني لنظم جناح جبريل هو شاعرية إقبال التي أنتجتها حياة رجل كان لأمته معقد أملها وهي تقف على شفا جرف هار , والإنجليز ينسقون الأوراق النهائية لمسرحية الهند , والمؤتمرات تنعقد هنا وهناك ، وهذا كله ليس شيئا بالنسبة لما يعتصر قلبه من الآهات على حاضر المسلمين " (19) .

هذا وقد صدر زهير ظاظا ترجمته - بالإضافة إلى المقدمة – بمدخل استعرض فيه فلسفة إقبال وفكره ونظرياته وبعض مصطلحاته ، وجعل الهوامش والحواشي في نهاية الديوان ، وكتب فيها تعليقات وافية ومفيدة للغاية تساعد كثيرا على فهم مقصود إقبال ، هذا وقد ترك زهير ظاظا رباعية من الديوان ، وقطعتين في آخره دون ترجمة ، كما تصرف في كثير من الأحيان في بعض العناوين ، بل

ووضع لبعض الغزليات عناوين من عنده طبقا لموضوعها . فأما الرباعية التي ترك ترجمتها فهي :

تريـ شيشـ مين مـ باقى نهين هـ بتا كيا تو مرا ساقى نهين هـ
سمندر سـ ملـ بياسـ كو شبنم ! بخيلى هـ يه رزاقى نهين (20)

وترجمتها النثرية كالتالي :

لم يبق في كأسك خمر ... أخبرني : ألست أنت الساقي !
فإن لم يحصل الظمآن من البحر إلا على الندى فإن هذا بخل وليس رزقاً !

مع أن الأستاذ عبد المعين الملوحي قد ترجمها بالفعل ، وهذه هي الترجمة :

ألم تبق ثمـالة من الخمر في كأسك قل لي : ألست أنت من يسقيني ؟
إذا لم ينل الظمآن إلا الندى من البحر فليس ذلك كرما ولكنه بخل !

وأما القطعتين الأخيرتين في الديوان واللتين تركهما كل من الأستاذ عبد المعين الملوحي والأستاذ زهير ظاظا بالتبعية فهما كالتالي :

القطعة الأولى :

فطرت مرى مانند نسيم سحرى هـ
رفتار هـ ميرى كبهى آبسته كبهى تيز
بهناتا هون اطلس كى قبا لاله وكل كو
كرتا هون سرّ خار كو سوزن كى طرح تيز (21)

وترجمتها كالتالي :

فطرتي كنسيم السحر ... وتقدمي بطيء أحيانا ، وأحيانا يكون سريعا
ألبس الشقائق والورود رداء أطلس ... وأجعل رأس الشوك حادا كالنيران .

القطعة الثانية :

كل ابنـ مريدون سـ بير مغان
قيمت مين يه معنى هـ درناب سـ وه جند
زهر اب هـ اس قوم كـ حق مين مئـ افرنكـ
جس قوم كـ بچـ نهين خوددار وهنر مند (22)

وترجمتها كالتالي :

بالأمس قال الشيخ لمريديه .. هذا الكلام يفوق في معناه الدر المكنون
إن خمر الفرنجة بمثابة السم في حق تلك الأمة .. التي يفتقد أبناؤها الاعتزاز بالنفس والعمل

وكما سبق أن أشرنا إلى أن الوسيط عند الأستاذ زهير ظاظا هو الترجمة العربية للترجمة الفرنسية للأصل الأردي ، أي أن هناك ما يشبه وسيطا ثانيا ، وبالتالي كان من المتوقع أن تكون هناك مسافة كبيرة بين النص الأصلي الأردي والترجمة العربية ، لكن هذا التوقع لم يكن صحيحا على إطلاقه ، إذ أن ترجمة الأستاذ زهير ظاظا ترجمة لا بأس بها ، وتقترب من النص الأصلي في كثير من الأحيان ،

وشعرها العربي علي مستوى كبير من الجودة ، وخاصة أنه في معظمه شعر عمودي مما زاد في رونق الترجمة ، ومع ذلك فإننا نلاحظ أن شعر إقبال يقصد إلى المعنى مباشرة ، على عكس ترجمة الأستاذ ظاظا والتي تدور – في كثير من الأحيان – حول الفكرة ، فتبدو حيرة المترجم في الوصول إلى لب الفكرة التي قصدها إقبال ، والسبب في ذلك – غالبا – هو كون الترجمة شعرا ، وعدم معرفة المترجم بالأردية معرفة جيدة ، ومن هنا فقد حدثت بعض الأخطاء في الترجمة نتيجة لعدم فهم بعض مصطلحات وتراكيب اللغة الأردية . وفي بعض الأحيان تكون الترجمة مجرد طيف غير واضح من الأصل ، ولا يحمل من معانيه سوى ومضات قليلة ، وهو ما نراه في ترجمته لمقطوعة بعنوان " فلسفه ومذهب : الفلسفة والدين " فجاءت الترجمة في ثمانية أبيات بينما الأصل في خمسة (23) ، وترجمها الأستاذ عبد المعين الملوحي ترجمة صحيحة (24) وجاءت ترجمة الأستاذ زهير ظاظا في ثمانية أبيات كما قلنا (25) .

ومع ذلك فإننا لا نعدم بعض الترجمات الجيدة القريبة من الأصل المعبر عن الفكرة كاملة ، بل وتتساوى مع الأصل في عدد الأبيات أحيانا . على سبيل المثال في مقطوعة بعنوان سوال : سؤال يقول إقبال :

اک مفلس خوددار يه كهتا تها خدا سے
مين كر نهين سكتا كلهء درد فقيرى
ليكن يه بتا ، تيري إجازت سے فرشتے
كرتے هين عطا مرد فرومايه كو ميرى (26)

وترجمها عبد المعين الملوحي صحيحة كما يلي :

قال لله فقير أبيّ : " أنا لا أشكو إليك الفقر الذي يوجعني "
ولكن قل لي : " أببركتك تهب الملائكة السلطة للأفاقين من الناس ؟ " (27)

وترجمها زهير ظاظا كما يلي :

قال درويش أبي يسأل الله تعالـــى
أنا لا أشكو إليك الفقر والعيش المحالا
لكن اللهم قل لي أنت أرسلت الملائك
ليقيموا سلطة الأوغاد في ظل سمائك (28)

وسوف نلاحظ عند زهير ظاظا استرساله في بعض الأحيان بشعر من عنده لا وجود له في الأصل ، وإن كان لا يخرج عن إطار الفكرة العامة . وفي بعض الأحيان يضطر – لسبب قد يكون وجيها – إلى صياغة المعنى الأصلي بطريقة تختلف بعض الشيء عن مدلوله ، والمثال على ذلك في البيت السابع والأخير من الغزلية رقم (3) من الديوان والذي يخاطب فيه إقبال الله تعالى قائلا:

روز حساب جب مرا بيش هو دفتر عمل
آب بهي شرمسار هو , مجهے كو بهى شرمسار كر (29)

الترجمة :

عندما يقدم كتابي يوم الحساب سيصيبك ويصيبني الخجل

والمعنى هنا قد يؤدي إلى سوء فهم لدى القارئ العادي إن هو ترجمه كما هو ، ولذا فقد تخلص المترجم من هذا المأزق وصاغ الترجمة بطريقة لا تبعده عن الفكرة الأساسية ، وتجعل المعنى مقبولا لدى القارئ العربي الذي لا يستطيع التوصل بسهولة إلى ما يقصده إقبال ، فقال :

سترى كم توبة في صفحتي وأرى كم رحمة في صفحتك

أنا قد يحمر وجهي خجلا حين تبدو صحفي بين يديك (30)

وهنا لا بد أن نشير إلى أن الأستاذ زهير ظاظا قد أردف بالترجمة ترجمة وتخريجا للأعلام والأماكن التي وردت بالنص الأصلي ، وأكثر من هذا أنه أورد أرقام صفحات المنظومات في النص الأصلي ، وهو ما يوحي بأنه ربما كان الأستاذ زهير ظاظا على إلمام باللغة الأردية ، أو أنه قد استعان بوسيط آخر من أهل اللغة ساعده في استيعاب المعاني ومقارنتها بالترجمة الفرنسية والعربية واستخراج النص الأصلي ورقم صفحته , وقد ذكر هو نفسه بأن الأستاذ عبد المعين الملوحي ساعده في هذا الأمر ، يقول : " وكانت هذه هي المرة الأولى التي أزوره – أي الأستاذ عبد المعين الملوحي – في بيته لأرى مثال الشهامة والمروءة ، فبالرغم من ثقل المرض ووطأة الشيخوخة ن جعل بكل حماس ونشاط يبحث معي في المصادر للتحقيق من النقاط التي استشكلتها من ترجمته فجزاه الله عنا كل خير " (31) .

ومن الذين ترجموا للعلامة إقبال من الأردية إلى العربية شعرا الشاعر اليمني الكبير الأستاذ محمد محمود الزبيري (32) الذي عاش في باكستان لاجئا لأربع سنوات تقريبا من عام 1948م وحتى عام 1952م ، وهذا يعني أنه عاش في باكستان في نفس الفترة التي عمل فيها الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام سفيرا لمصر بها ، وقد جمعت بينهما لقاءات عديدة (33) .

وقد ترجم الزبيري للعلامة محمد إقبال عن الأردية عدة منظومات هي : العشق – وراء الأقنعة – أمنية إقبال – غزو الأعماق – الفجر الثاني – امتداد الشعب العربي – دعاء – الطائر اللاهوتي – شحاذ – بيت منفرد – الأمر الإلهي للملائكة – الإنسان يغزو الكون – مناقشة إقبال لربه – ابن الصقر – الحياة حرب – الفقر الحيدري – السمو بالإنسان – أسير الحضارة – مسجد قرطبة – عتاب إلى الرب – السهم الحائر – إلى الشباب المسلم .

هذا وكانت اللغة حائلا بين الزبيري وإقبال مما ألجأه إلى وسيط يترجم له الأشعار نثرا ، ثم يقوم هو بصياغتها ، وكان هذا الوسيط هو الأستاذ محمد حسن الأعظمي ، وهو نفس الوسيط في ترجمة الشيخ الصاوي علي شعلان كما سيأتي فيما بعد ، ولأن الزبيري كان شاعرا مطبوعا مثقفا فقد تفاعل مع روح هذه النصوص المترجمة بحرية بعيدا الالتزام بحرفية النص ، وهو ما جعل ترجمته تزيد في عدد أبياتها كثيرا عن أبيات النص الأصلي ، يقول الزبيري : " كان الأستاذ محمد حسن الأعظمي يقدم إلي معاني المقطوعات أو القصائد الشعرية لإقبال من

الأردية إلى العربية نثرا مقتصرا فيها على المعنى الأصلي ، فأتناول هذا النص المنثور ، وأرجع إلى الأصل أتلمس روح إقبال من وراء هذا الحائط الحديدي الذي يحجزني عنه – حائط اللغة الأردية والمصطلحات الشعرية الخاصة بهذه اللغة – ثم أنطلق بروحي في هذا الجو متحررا من قيود الترجمة تاركا حبل خيالي على غاربه ، واثقا من أن معاني إقبال التي تسكن في هذه القصائد المدونة ليست إلا ومضة من روحه الواسعة التي لا تخضع لحدود ولا قيود " (34) . وربما كانت هذه الثقة لدى الزبيري بأنه لا يستطيع التعبير بشكل كامل عن إقبال – وهو أمر منطقي في ترجمة الشعر إلى شعر – وإنما عن ومضة من ومضاته أحد الأسباب في جودة الترجمة ، إذ أنه تحرر من قيد التعبير الكامل عن الأصل بما يشكل عبئا ثقيلا على المترجم حتى يتمه ، وهيهات ، فأخذ ينظم الفكرة نفسها ، والتي وجدت صدى بداخله لما يمر به من ظروف نفسية صعبة بسبب بعده رغما عنه عن وطنه ، ولذا فإن " هذه الترجمات وإن تمت في جو إقبال ، إلا أنها نابعة من روح الزبيري أيضا ، فلم يكن قد أجاد الأردية عندما بدأ الترجمة ، وقد وجد فيها تعبيرا صادقا وعميقا عن مشاعره الروحية والثورية " (35) ، وفي ذلك يقول الزبيري نفسه " نحن لم نبرز خصائص هذا الشاعر ، ولم ننصف عبقريته ، ولم نقدم إلى الناس شعره الممتاز ، بل قدمنا فكرة من أفكاره ، ورأيا من آرائه ، ..... ولكن هذا لا ينبغي أن يصدنا عن نقل ما نستطيع نقله إلى لغتنا من تفكير وإحساس على أن نعتبره تقريبا بين العقليات البشرية ، وتلقيحا للروح الإنسانية بعضها ببعض " (36)وربما كان هذا الأمر من الأسباب الرئيسية التي حدت بالزبيري إلى ترجمة أشعار إقبال إضافة إلى مكانة إقبال وروعة شعره " باعتباره الصوت الجهير في الأردية ، وهو الشاعر الذي علم ذرات الأرض – كما يقول الزبيري – كيف تصبح جبارة في مقاومة الظالمين .... وقد وجد الزبيري في شخصيته الفذة ، وفي شعره الإنساني عزاء ودفئا يؤنسان وحشته في ذلك المنفى البعيد " (36) .

لكن الذي يميز ترجمة الزبيري هو أنه صاغها في مقطوعات متحدة الوزن والقافية ، وهو ما ناسب الأفكار التي نظمها إقبال في شكل مقطوعات رغم زيادة الأبيات في الترجمة زيادة كبيرة أحيانا ، وهذا نموذج من ترجمة الزبيري لإقبال ، وهي عبارة عن صياغة حرة لمنظومة بعنوان " فرمان خدا : أمر الله " (37)

وترجمة المنظومة نثرا كما يلي :

انهضوا وأيقظوا فقراء أمتي ... وهزوا جدران وأبواب قصور الأمراء .

واجعلوا دماء العبيد تفور بحرارة اليقين ... واجعلوا الطائر الصغير يحارب الشاهين .

إن زمان حكم الشعب قادم .... فامحوا كل أثر عتيق يبدو لكم .

الحقل الذي لا يوفر للزارع الرزق ، أحرقوا كل سنبلة قمح في هذا الحقل .

لماذا تحول الحواجز بين الخالق والمخلوق ... أخرجوا شيوخ الكنيسة من الكنيسة .

يسجدون للحق ويطوفون بالأصنام ... الأفضل أن تطفئوا مصباح الحرم والدير.

إني متضايق وغير راض عن أحجار المرمر... فابنوا لي حرما آخر من الطين.
الحضارة الجديدة مجرد صناعة زجاج ... علموا شاعر المشرق آداب العشق .
وجاءت ترجمة الزبيري لهذه المنظومة في تسعة وثلاثين بيتاً تبدأ كالتالي :

قوموا انظروا لعالم الدنيا وزوروا الفقـراء
وأيقظوهم من سبـات وظـلام وغبـــاء (38)

أما أروع الترجمات الشعرية التي تمت لإقبال سواء من الأردية أو الفارسية فهي التي قام بها المرحوم الشيخ الصاوي علي شعلان (توفي عام 1982م) ، وكان الوسيط فيها الأستاذ محمد حسن الأعظمي الذي كان يعمل بالسفارة الباكستانية بمصر في ذلك الوقت ، وهو الذي كان وسيطا في ترجمة الأستاذ محمد محمود الزبيري أيضا ، كمل تعون مع الشيخ في الترجمة الأستاذ عبد الباري أجم والمرحوم الأستاذ الدكتور غلام محي الدين العربي . والحق يقال بأن ترجمة الشيخ الصاوي علي شعلان هي التي كتبت الذيوع والانتشار لإقبال بين أبناء العربية بما تميزت به من جمال الألفاظ والتراكيب ، ودقة التعبير ، وروعة الجرس الموسيقي الساحر حتى أن القارئ لترجماته لا يشعر أبدا أنها ترجمة ، بل على العكس يظن لأول وهلة أنها لابد أن تكون من بنات أفكار الشيخ نفسه ، رغم أنه لم يلتزم سوى بالفكرة الأساسية التي يضمها الأصل الأردي ، ورغم أن الشيخ لم يكن يعرف الأردية ، ولكن الوسيط هنا تكامل مع الشيخ شعلان في الفهم الدقيق لأشعار إقبال وفلسفته والتفاعل معا . وقد لفتت الترجمة أنظار المثقفين إليها حتى قامت سيدة الغناء العربي " أم كلثوم " بغناء مختارات من ترجمته لقصيدتي " شكوى و جواب شكوى " تحت عنوان " حديث الروح " ، فلاقت رواجا لا مثيل له ، ولا زالت هذه الأغنية تلقى نفس الإعجاب في العالم العربي إلى يومنا هذا رغم أنها عبارة عن بعض الأبيات التي لا تتعدى عشرين بيتا ليست بالتأكيد هي أفضل ما ترجم الشيخ الصاوي علي شعلان .

وبنظرة بسيطة على الوسيط في ترجمة الشيخ الصاوي علي شعلان نجد أنه وسيط متميز في مستواه الثقافي ، مستوعب في أكثر الأحوال لمفهوم أشعار إقبال ، ولديه تجربة سابقة – وربما أكثر – في ترجمة أشعار إقبال مثلما هو الحال مع الأستاذ محمد حسن الأعظمي الذي قام بالترجمة النثرية من قبل للأستاذ محمد محمود الزبيري الذي صاغ بدوره هذه الترجمة شعرا عربيا جميلا . وبالرغم من ذلك جاءت الترجمة في كثير من الأحيان مستوعبة للمعنى الذي قصده إقبال دون الالتزام بحرفية هذا المعنى ، والسبب الرئيسي في هذا – كما نظن – هو قوة شاعرية الشيخ الصاوي علي شعلان واتجاهه الإسلامي ، وتفاعله الشديد مع فلسفة إقبال مما جعله يخرج تفاعله مع المضامين بشكل أدى إلى وضوح شخصية الشيخ وفكره بطريقة جعلت أشعاره في كثير من الأحيان – بشهادة المتخصصين – تفوق في جمالها النص الأصلي ، فجاءت أشعار الشيخ إبداعا أكثر منها ترجمة ، هذا إلى

حرص الشيخ الصاوي علي شعلان على أن تأتي صياغته الشعرية في شكل رباعيات أو مقطوعات متحدة القافية والوزن مما يزيدها تأثيرا وجمالا .

وقد حرص الشيخ الصاوي علي شعلان على أن يقدم للصياغة الشعرية بالترجمة النثرية ، وهو ما يكفل إزالة أي غموض قد يبدو فيها ، وهناك بعض المنظومات التي اكتفى الشيخ الصاوي بإيراد الترجمة النثرية لها ولم يصوغها شعرا مثل منظومة " هيمالايا " ومنظومة " مسجد قرطبة " ، ولا ندري لذلك سببا سوى أن الوقت – كما نعتقد – لم يسعفه ، وسوف نكتفي هنا بذكر نموذج واحد من ترجمة الشيخ لقصيدة " طلوع إسلام " التي لا تقل ترجمتها روعة وجمالا عن ترجمة حديث الروح ، يقول إقبال :

دليل صبح روشن هـ ستارون كي تنک تابى
افق سـ آفتاب ابهـرا ، كيـا دور كران خوابى
عروق مردهء مشرق مين خون زندكـــى دورا
سمجهـ سكتـ نهين اس راز كو سينا وفارابى
مسلمان كو مسلمان كر ديا طوفان مغرب نـ
تلاطم هائـ دريا هى سـ هـ كو هر كى سيرابى
عطا مومن كو بهر دركاه حق سـ هونـ والا هـ
شكوه تركماني ، ذهن هندى ، نطق اعرابى (39)

وهذه هي الترجمة النثرية :

خفوت ضوء النجوم دليل الصبح المشرق ... ظهرت الشمس من المشرق ، ومضى زمن النوم الثقيل

وجرت دماء الحياة في عروق الشرق المحتضر ... ولا يستطيع أن يفهم هذا السر ابن سينا والفارابي .

زاد طوفان الغرب في إيمان المسلمين ... كتلاطم أمواج البحار يخلق اللؤلؤ " في الأصداف " .

وسينعم الله على المؤمنين ثانية .... بعظمة الأتراك وذكاء الهنود وفصاحة العرب .

وصاغها الشيخ الصاوي علي شعلان شعرا فب أبيات رائعة منها :

تبشـرني النجـوم إذا توارت لدى الأسحـار بالفجر الوليـد
كـأن خـفـوت ضوء النجم ليلا بشـير اليمـن باليـوم الجـديد
مضى النـوم الثقيـل عن المآقي ونـور الشمس آذن بالشـروق
وهب الشرق منتبها وثارت عزائمه دماءا في العروق (40)

رحم الله العلامة إقبال ، ورحم كل من أسهم في تقديمه إلى أبناء العربية ... آمين .

المبحث الثاني :

دور الوسيط في ترجمة الشعر الأردي – غير شعر إقبال – إلى العربية نظما

تحدثنا في المبحث السابق عن الترجمات التي تمت لشعر إقبال الأردي إلى العربية نظما،ودور الوسيط فيها ،ونخصص الحديث هنا عن الترجمات العربية المنظومة التي تمت من الشعر الأردي غير شعر إقبال،وهي محددة في منظومة مد وجزر إسلام التي اشتهرت باسم مسدس حالي،ومن نظم الشاعر ألطاف حسين حالي (41) ، ثم منتخبات من منظومة شاهنامه إسلام للشاعر حفيظ جالندهرى (42) ، وأخيرا ترجمة ديوان حدائق بخشش : حدائق الغفران للشيخ أحمد رضا خان البريلوي (43) .

أما فيما يتعلق بترجمة مسدس حالي فإن أول من ترجمه إلى العربية نظما هو الشاعر اليمني الزبيري،أثناء قيامه في باكستان لاجئاً بعد الأحداث السياسية التي جرت في اليمن عام 1948م ، وفي باكستان عاش الزبيري حياة غاية في الصعوبة واجه فيها ضيق ذات اليد جنبا إلى جنب مع حاجز اللغة الذي كان عقبة كبيرة في سبيل التواصل مع الناس،يقول الزبيري :"كنت مشردا بعد نكبة عام 1948م،ومطاردا من كل بلد على ظهر الأرض،وكانت البلاد العربية كلها تحت سلطان العروش الرجعية ونفوذها وهيبتها،تلك العروش التي هزها مصرع الإمام يحي،وكانت كل حركات الشعوب تعاني نكسة عامة،ولم نكن نعرف لنا ملاذا يومئذ غير باكستان الدولة الإسلامية الفتية التي كانت محط كل الآمال،ومع ذلك فكانت قضية اليمن مجهولة هناك تفصل بينها وبين الباكستانيين حواجز اللغة والعزلة والانقطاع الرهيب"(44) .

لكن الله قيض له من الأصدقاء والمواسين الذين مدوا له يد العون ولم يتخلوا عنه،وعلى رأس هؤلاء شيخ الإسلام المرحوم شبير أحمد عثماني الذي استطاع أن يهيأ للزبيري عملا كأستاذ بجامعة كراتشي عندما لجأ إليه بعدما ضاقت به الحال.يقول الزبيري:"في غمرة الظلام،وفي عنوان المأساة التي عانيناها على إثر سقوط حكومة الثورة اليمنية،كنت مشردا في باكستان والهند،وكنت لا أحمل جوازا ،ولا أجد بلدا في العالم يقبل دخولي فيه أو إقامتي به،وكان وجودي في باكستان وجودا غير شرعي.في هذا الجو القاتم التعس جاء العيد،وقد كتبت القصيدة التالية أقص حالتي على شيخ الإسلام المرحوم شبير أحمد عثماني، وأحاول عنده أن أجد في شريعة الإسلام ، وفي شهامة الخلق الإسلامي عونا على التخلص من قوانين الإقامة والجنسية ". وهذا مطلع القصيدة:

" شبير " أنت منقذي من محنتـي وأنت شيـخ الملة الممجد (45)

في مثل هذه الظروف النفسية الصعبة وجد الزبيري متنفسا ومواسيا في أشعار إقبال وحالي ، وترجم لنا عن طريق وسيط هو الأستاذ محمد حسن الأعظمي منتخبات من شعر إقبال الأردي – تحدثنا عنها في المبحث السابق

– ومنتخبات من مسدس حالي ، وقد جاءت هذه الأخيرة في شكل مقطوعات – بلغت عشرة - كل واحدة منها تضم عددا غير معين من الأبيات وصلت في مجموعها إلى ستة وسبعين بيتا ، وهي في الأصل لدى حالي في شكل المسدس المعروف في اللغات الشرقية ، بمجموع أبيات بلغ ألفا وأربعمائة وأربعة أبيات.والترجمة في مجموعها ترجمة جيدة وقريبة من النص الأصلي كثيرا،ولا شك أن الفضل في ذلك يعود في جزء كبير منه إلى الوسيط في الترجمة الأستاذ الأعظمي الذي استطاع أن ينقل المعاني واضحة إلى الزبيري فصاغها شعرا ، وهذا نموذج من الترجمة لوحدتين من المسدس (46) :

أتى سائل بقراط يحذر خطبـــه ويسألـه
فتـــوى تعالج كربـــه
ألا أي داء في البرية مهلـــك
إذا مس إنسـان قضى منـه نحبـــه
فقـال له لم يخلـق الله مـــرة
لنـا مرضـا إلا ويخلـق طبـــه
ولكن داءا هينا لا نخافـــه
هو الداء يستشـري ويقتـل ربـــه
وأخطر أمراضا علينا مغبـــة
هو المـرض السهـل الذي لن نطبـــه
نرى أمره هونا ونترك سمـــه
بأعماقنـا يسـري ويعلن حربـــه
ونعتقـد أقوال الطبيب بشأنـه
خرافـة شيـخ أصبـح الهجر دأبه (47)

أما الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري فكان أكثر من ترجم نظما لشعراء آخرين غير إقبال ، فترجم مسدس حالي كاملا بالتعاون مع وسيط من المتحدثين بالأردية من أبناء شبة القارة الهندو باكستانية ، وأثبت اسمه على غلاف الكتاب الذي طبع عام 1990م باسم " الإسلام بين مد وجزر " ، وجاءت في 1387 بيت من الشعر في هيئة المثنوي ، وهو الشكل الفني الذي جاءت فيه معظم ترجمات الدكتور حسين مجيب المصري عن الأردية . هذا وقد عزم الأستاذ الدكتور حسين في بداية الأمر أن يقوم هو بالترجمة بنفسه اعتمادا على معرفته بالأردية ، ولكنه في النهاية فضل أن يستعين بمن يترجم له ، يقول : " وبالذكر حقيق ، أنه قام في نفسي أول الأمر أن أنقلها إلى العربية عن نصها الأردي ، بيد أني ألفيت أن ذلك ليس علي بيسير ، فعولت على أن أعطي القوس باريها ، ورغبت إلى الدكتور صلاح الدين شمس الدين الندوي ، وهو من أبناء الأردية ، أن يترجمها لي إلى العربية في وضوح لغة الأم ، فقضى لي سؤلي مشكورا مبرورا " (48) .
هذا وما قيل في ترجمات الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري المنظومة لأشعار

إقبال الأردية يمكن أن يقال هنا ثانية ، وسنقدم هنا – كنموذج – ترجمة سيادته للوحتين الأوليين ، وهما اللتان قدمناهما كنموذج لترجمة الأستاذ محمد محمود الزبيري للمسدس ، يقول الدكتور المصري :

أبقراط ها سائل قد سـأل أعندك علم بأدهـى العلل
فقال دواء لداء عيـــاء من الله لا شك فيـه الشفاء
وفي زعمهم ليس هذا بـداء إذا ظن قول الطبيب الهراء
إذا ما النطاسي داء عـرف يقولون ما ذاك إلا الخـرف
وما أدركوا قط عقبى المرض فكان لهم منه كل المضـض
طبيب وفي مينه لم يـزل ففي عمرهم ضاع كل الأمل (49)

وترجم الدكتور حسين مجيب المصري كذلك منتخبات من " شاهنامه إسلام " لحفيظ جالندهري أوردها ضمن كتابه " غزوات الرسول بين شعراء الشعوب الإسلامية " والذي صدر عام 2000م ، وبلغ عدد أبيات الترجمة مائة واثنين وسبعين بيتا ،وكان الوسيط في هذه الترجمة أحد الدارسين المصريين بجامعة الأزهر ، وقد ذكر الدكتور المصري اسمه مقرونا بالشكر في هامش الترجمة ، وجاءت عناوين المنتخبات كالتالي : فضل غزوة بدر – مشاهدة غزوة بدر – حكمة تمييز غزوتي بدر وأحد – أبو سفيان – هند – قبيل غزوة بدر – حكاية نساء قريش في أحد – من يحارب من – قصة نساء قريش في الأردية – جفاء وصفاء – حنظلة بن أبي عامر رضي الله عنه – علي بن أبي طالب كرم الله وجهـه – وحشي – ثورة الانتقـام لغزوة بدر – ليلة أحد – فجر أحد – احتشاد لغزوة أحد – هلع المشركين من حمزة رضي الله عنه – جيش الأحزاب – رأي سلمان الفارسي – حفر الخندق – حبيب الله مشاركا في حفر الخندق – مخاوف قريش . وهذا نموذج من الترجمة تحت عنوان " فضل غزوة بدر " :

تواريخ بدر روَيت أنـا صحائف تبر لهن سنـا
عززنا بفضل جهاد لنـا أطعنا صبرنا ونلنا المنى
وقرآننا منه نعم الدليل فنصر ببدر عديم المثيل
وفي سورة جاء هذا الخبر ملائكة أنزلت كالمطر
مضت فئة ما لها من حسـام وغير الشهادة ما من مرام
وما من عديد وما من عتـاد وإيمان قلب لها خير زاد (50)

كما ترجم الدكتور المصري منظومة " اسلام كى تاريخ : تاريخ الإسلام " للشاعر منير علي جعفري بمجموع أبيات بلغ مائة واثني عشر بيتا تحت عنوانين هما : غزوة أحد و غزوة الخندق ، وأدرج هذه الترجمة في كتابه سابق الدكر " غزوات الرسول " . وكان الوسيط في هذه المرة أحد الدارسين للأردية بجامعة القاهرة ، وقد شكره الدكتور مجيب المصري في هامش الترجمة التي جاءت كسابقاتها من ترجمات الدكتور المصري ، وهذا نموذج من الترجمة تحت عنوان " غزوة أحد " :

وكان ابن حرب من المشركين ومكة وافى مع الخاسرين
عن الحال إياه كل سأل وفي عمق حزنه لم يزل
أفاق ورد على قولهم بأن الهزيمة حلت بهم
أدار حديثا عن المسلمين وفي حربهم قال أسد العرين
لإيمانهم لم يخافوا الحمام فداء لهم روحهم للحسام
وضحوا بأرواحهم للرسول وما كان شك لهم في العقول (51)

وأخيرا قام الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري بترجمة ديوان " حدائق بخشش " للشيخ أحمد رضا خان بريلوي (52) من الأردية إلى العربية نظما تحت عنوان " صفوة المديح " ، والوسيط في هذه الترجمة أحد الزملاء بجامعة الأزهر ذكر الدكتور المصري اسمه علي غلاف الكتاب الذي صدر بنفس العنوان عام 2001م باعتباره الذي ترجم إلى النثر العربي ، وقد أشار الدكتور المصري في مقدمة الكتاب إلى أنه يرى أن ترجمة الشعر لا بد أن تكون شعرا ، وأن هذا مذهبه الذي لا يحيد عنه حولا ، وأنه قد وضع عناوين من عنده لبعض المقطوعات التي ليس لها عنوان في الأصل .

والحقيقة أن شعر أحمد رضا خان الأردي ينم عن مقدرته الشعرية واللغوية ، ويتسم بنوع ما من العالمية – بكسر اللام والميم – فتمتلئ أشعاره بالمعلومات جنبا إلى جنب مع العاطفة ، وربما كان هذا هو السبب في إعراض البعض عن قراءتها لإحساسه بأنها صعبة غير يسيرة الفهم ، هذا بالطبع إذا تغاضينا عن سبب آخر من أسباب صعوبة هذه الأشعار وهو احتواؤها على ألفاظ وتراكيب عربية وفارسية وهندية كثيرة مما لم يألفه أبناء الأردية سوى في القواميس والمعاجم ، إضافة إلى مصطلحات وتراكيب العلوم المختلفة التي كان الشيخ يلم بها ، مما جعل بعض أبيات شعره طلاسم تستعصي على الحل ، وتحتاج إلى مهرة متخصصين لفك شفرتها ، فتفقد هذه الأشعار تلك المسحة الشعرية التي تؤثر في الوجدان وتسمو بالروح . هذا والديوان من ثلاثة أجزاء ، نشر الأول والثاني في حياة الشيخ ، وطبعا عام 1325هـ / 1907م ، أما الجزء الثالث فقد تم جمعه ونشره بعد وفاته . وهذا مطلع ترجمة الدكتور حسين مجيب المصري لمنظومة وضع لها عنوان " عليك صلوات وصلوات " في مدح النبي صلى الله عليه وسلم :

بمكة إنك بدر الضياء وفي طيبة أنت مثل الذكاء عليك الصلاة (53)

ولا شك أن الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري – أمد الله في عمره – قد بذل جهدا كبيرا في ترجماته كلها ، وإن كان هناك بعض الأخطاء أو الغموض فمرده في معظمه إلى الوسطاء الذين حالت قلة خبرتهم دون توصيل المعنى كاملا إلى الدكتور المصري ، ومع هذا فإننا نرى أن الوسيط قد لعب دورا هاما في التعارف بين الشعر الأردي من جانب والشعر العربي من جانب آخر ، صحيح أن مستويات الترجمة اختلفت صعودا وهبوطا تبعا لمستويات الوسيط ذاته كما أشرنا سابقا ، ولكن هذا لا يعيب بحال من الأحوال هذه الأعمال ولا يقلل من شأنها ، إذ

أنها جاءت كعمل ريادي لم يسبق ، ولا شك أن الأعمال الريادية يشوبها كثير من الأخطاء ، وهذا أمر طبيعي ، وتبقى المسئولية الأكبر على عاتق المتخصصين في الأدب الأردي في أن يقوموا بتفعيل دراساتهم ، وتقديم ترجمات أكثر تعبيرا عن الأصل ، وتعطي فكرة صحيحة عن الأدب الذي ينقلون منه .

الخاتمة

وبعد :

فإن الترجمة من لغة إلى أخرى ليست بالأمر الهين ، فهي تحتاج إلى موهبة أصيلة ، ومهارة فائقة ، وجهد جهيد ، ورغم أن الترجمة فن مكتسب إلا أن موهبة نقل مشاعر الآخرين والتعبير عنها أمر لا يتيسر لكل أحد ، وأما المهارة فإنها لا تتأتى إلا بالتمرين المستمر والممارسة المتواصلة ، وإذا كانت ترجمة النثر صعبة ، فإن ترجمة الشعر أكثر صعوبة ، وترجمة الشعر إلى شعر ربما تكون دربا من المخاطرة ، وخاصة إذا كانت عن طريق وسيط ، ولشاعر صاحب نظريات وفلسفة معينة كإقبال ، حتى قال الشاعر محمد محمود الزبيري، وهو من هو في مكانته في عالم الشعر ، عن هذا الأمر : " ولا ريب أنه ليس من اليسير أن يترجم الشعر إلى نثر ، فكيف به أن يترجم إلى شعر ... إنها لمعضلة كنت أشعر معها وأنا أترجم بعض المعاني ترجمة حرفية بأنني أظلم إقبالا ، وأنتزع روح شعره من جثمانها ، ثم أرغمها على أن تسكن جثمانا آخر ... وهيهات . إن سر التركيب الشعري لا يستعصي على الترجمة من لغة إلى أخرى فحسب ، بل إنه ليستعصي حتى على نقل معناه باللغة ذاتها إلى تركيب آخر ، وأعجب من ذلك أنه يتمرد حتى على الشرح والتفسير ، فمن يشرح البيت الشعري الرائع أو ينثره إلى لغته ذاتها لا يستطيع أن ينقل عناصر الإحساس الكامنة في تركيب ذلك البيت إلى الجملة المنثورة أو المفسرة ، فكيف به يستطيع أن يترجمه إلى لغة أخرى " (54) . وإذن فقد تؤدي ترجمة شاعر ما إلى ذيوع نظرياته وفلسفته ، وقد تؤدي إلى سوء فهم لها ، وتقف عقبة في سبيل انتشارها ، وكما يقول الشيخ الصاوي علي شعلان : " وكثيرا ما يحدث أن يكون المترجم غير متمكن من اللغة التي يترجم منها أو التي يترجم إليها ، وفي هذه الحالة تخرج الترجمة معقدة غير مفهومة ، بل كثيرا ما تكون بعيدة كل البعد عن الأصل ، وعلى الأخص إذا كانت الترجمة عن ترجمة أخرى غير اللغة الأصلية للنص ... لأن المترجم من لغة أصلية إلى لغة أخرى كثيرا ما يخونه الفهم ، ويجد الصعوبة في هضم أفكار الشاعر الذي يترجم له ، والتي نظمها بلغة غير لغة المترجم ، وبذلك تبعد الترجمة عن الأصل بعدا كبيرا ، وتخرج وقد حوت أفكارا أخرى غير تلك التي نظمها الشاعر الأصل ... وترجمة الشعر تتطلب أمرين ، أولهما : أن تكون اللغة الأصلية للشعر طوع أمر المترجم عالم بدقائقها، وأن تكون لغته هو كذلك طيعة له عارف بأسرارها عالم بأساليبها " (55) .

ومن هنا فإننا لا نتردد في القول بأنه لا يمكن لترجمة الشعر إلى شعر عن طريق وسيط أن تؤتي ثمارها المرجوة في التقديم الصحيح للشاعر المترجم عنه ، اللهم إلا في التعريف البسيط به لدى القارئ العادي ، وليس القارئ المتخصص المثقف ، وفي حالة إقبال نستطيع أن نجزم بأنه لولا الترجمات التي تمت لشعر إقبال الفارسي إلى العربية لما أمكن التعريف بإقبال لدى العرب على الوجه الصحيح ، والسبب في ذلك هو أن هذه الترجمات تمت إلى العربية من الفارسية مباشرة وبغير وسيط ، بمعنى أن المترجمين كانوا من المجيدين للغة الفارسية ، ومن حسن الطالع أن أول من ترجم لإقبال من الفارسية إلى العربية شعرا كان شاعرا موهوبا مثقفا محبا لإقبال مستوعبا لفلسفته متفاعلا معها جنبا إلى جنب مع إجادته التامة للفارسية وهو الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام ، ونظن أن الترجمة لإقبال إلى العربية لو بدأها أحد غير الدكتور عبد الوهاب عزام لاختلف الأمر تماما ، ولكانت الصورة التي عليها إقبال الآن عند العرب أقل وضوحا ، وأكثر غموضا ، وإذا كانت الترجمات التي تمت لأشعار إقبال إلى العربية شعرا عن طريق وسيط مفهومة ومعبرة بعض الشيء ن فإن ذلك راجع في جزء كبير منه إلى الخلفية التي كانت قد تكونت بالفعل عن فكر إقبال لدى القارئ العربي ، ولدى المترجمين كذلك عن طريق الترجمات التي تمت من الفارسية مباشرة ، وخاصة ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام ، والذي لا تقل ترجمته عن الأردية إلى العربية شعرا – كما نعتقد – عن الترجمة التي قام بها من الفارسية .

ولهذا فإنه لا يجب بحال من الأحوال اللجوء إلى ترجمة الشعرعن طريق وسيط إلا عند الضرورة القصوى ، وذلك حين لا يتوفر المترجم الموهوب المجيد للغة الشعر الأصلية ، لأنه لكي تخرج الترجمة الشعرية جيدة لا بد من تفاعل الشاعر المترجم مع الشاعر المترجم له ، وكلما زاد هذا التفاعل كلما خرْجت الترجمة معبرة ، وما أشبه هذا بممثل يؤدي دورا معينا فيستغرقه هذا الدور حتى يكاد المشاهد يظن أنه لا يمثل دورا ، وإنما يعيشه . فإذا تفاعل الشاعر المترجم مع القضية التي يعرضها الشاعر المترجم له لعبر عنها بلغته خير تعبير ، ولكان قوله أقرب ما يكون إلى قول الشاعر الأصلي ، بل وتصبح الترجمة هنا إبداعا قد يفوق الإبداع الأصلي في تأثيره وجودته ، وهذا يتطلب جهدا خارقا ، لأن المترجم مقيد بفكرة يتناولها غيره ، بل أكثر من هذا أنه مقيد بنقل طريقة تناول الشاعر المترجم له لهذه الفكرة وأسلوبه في التعبير عنها ، وفي ذات الوقت هو مقيد بأسلوب لغته المنقول إليها في التعبير والبيان ، وإلا لو تناول الفكرة من وجهة نظره هو – وهو أيسر – لوصف بالخيانة رغم قسوة الاتهام ، إذ أنه ليس من العدل " أن نصف المترجم بالخيانة وهو الذي يقضي أيامه ولياليه في السهر قدر الإمكان على إيصال أفكار صاحب النص إلى اللغة الثانية ، وكثيرا ما استعصت جملة واحدة على المترجم فأنفق في ترجمتها ساعات أو أياما حتى استقامت له في اللغة الثانية ، فهل نعد هذا المترجم " الأمين " خائنا . لا شك أنك تستطيع إذا كنت مترجما أن تنقل كل

الفروق والخصائص من لغة إلى أخرى، ولكنك تحاول على قدر استطاعتك المحافظة على النص الأصلي . ثم إن الترجمة " شر لا بد منه " ، أو " خير رغم ما فيه من مخاطرة " ، فلولا الترجمة لم يعرف شعب أدب شعب آخر، ....بل إني أذهب إلى أكثر من ذلك فأدعي أن بعض الترجمات لا تقل عن النصوص الأصلية فنا وروعة وجمالا ، ولا سيما عندما يمتلك المترجم ناصية اللغتين أولا ، وعندما يتمتع بضمير حي ، ومقدرة أسلوبية وفنية ثانيا . ما أصعب أن تنفق نور عينيك ودم قلبك لتأتي بنص صحيح جديد لنص في لغة أخرى ثم تتهم بالخيانة ، هذا إذا كنت مترجما ذا وجدان " (56) .

وبرغم اتفاقنا مع هذا الكلام إلا أننا نرى أن ترجمة الشعر إلى شعر عن طريق وسيط ليست ترجمة بالمعنى الدقيق للكلمة ، وإنما هي تعبير عن أشعار وفكر الشاعر أكثر منها ترجمة له ، ولا يمكننا الاعتماد على هذا التعبير في دراسة شاعر من الشعراء دراسة صحيحة إذا لم نكن نجيد اللغة التي كتب بها الشعر ، ونضرب لذلك مثلا بالترجمات التي قام بها الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري ، أو الشيخ الصاوي علي شعلان أو الأستاذ محمد محمود الزبيري عن الأردية لإقبال أو غيره من شعراء الأردية عن طريق وسيط ، فإذا جاء من لا يعرف الأردية واتخذ منها أساسا لدراسة فكر هذا الشاعر وفلسفته دون الرجوع إلى الترجمات المباشرة لأخفق إخفاقا ذريعا ، إلا أن للترجمة الشعرية تأثيرها الذي لا ينكر في قلوب القراء ، ولذا فنحن نلجأ إلى ترجمة الشعر بالشعر لأنه أكثر تأثيرا وبقاء ، ولكن إذا لم تحقق الترجمة الشعرية هذا الأمر فلا حاجة لها إذن ، وتكون الترجمة النثرية عندئذ هي الأفضل ، وإن كان لابد من الترجمة الشعرية عن طريق وسيط فلا بد عندئذ أن ترفق الترجمة النثرية بها وتنشر معها، ولا بد من اختيار الوسيط بعناية بالغة ، لأن دوره لا يقل أهمية عن دور الشاعر الذي سيصوغ الترجمة ، إذ أنه هو المنوط به نقل المعنى إلى الشاعر بشكل صحيح ومؤثر حتى يتفاعل مع موضوع الشعر ، وهذا يتطلب أن يكون الوسيط هو الآخر مستوعبا لفكرة الشاعر الأصلي ومتفاعلا معها إلى حد كبير ، وبالتالي تخرج الترجمة النثرية جيدة ، وتصلح لأن تكون أساسا يعتمد عليه الشاعر المترجم في صياغة الترجمة شعرا . وهذا هو الذي حدث – تقريبا – مع الأستاذ محمد محمود الزبيري الذي تعاون معه في الترجمة الأستاذ محمد حسن الأعظمي الذي يعد من كبار العلماء في شبه القارة الهندو باكستانية ، كما أنه كان مستوعبا لفكر العلامة إقبال وفلسفته ، وهو الذي تعاون فيما بعد مع الشيخ الصاوي علي شعلان أيام كان يعمل بالسفارة الباكستانية بالقاهرة ، وكذلك كان الأستاذ عبد الباري أنجم ، والأستاذ الدكتور غلام محي الدين الذي كان يعمل بالسفارة الباكستانية بالقاهرة ، جنبا إلى جنب مع قيامه بالتدريس بجامعة الأزهر الشريف ، وذلك كله على عكس الوسطاء الذين أتيحوا للأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري ، إذ كان أغلبهم من الدارسين المصريين ، والذين كانوا لا يزالون في بداية مراحلهم الدراسية في الماجستير أو الدكتوراه . أضف إلى هذا أن الأستاذ

محمد محمود الزبيري عاش في باكستان عدة سنوات ، كما أتيح للشيخ الصاوي كذلك الحياة في باكستان لفترة ، مما ساعد في زيادة التفاعل بين الشاعرين وأشعار إقبال . هذا وقد أتيح لي الاطلاع على مسودة ترجمة نثرية إلى العربية لأعمال إقبال الأردية كاملة قام بها الأستاذ الدكتور أمجد حسن سيد أحمد، وهو من هو في فهم فلسفة وفكر إقبال وشعره ، ولكنها – على حد علمي – لم تنشر إلى الآن ، مع أنها حتى الآن هي النموذج الأفضل للترجمة النثرية لشعر إقبال الأردي ، ولو تم نشرها لأزالت كثيرا من الغموض الذي يكتنف الترجمات التي تمت بوسيط . وما يقال عن إقبال بقال عن غبره ، لأن اختيار شاعر ما لنقل أشعاره إلى لغة أخرى يعود بالدرجة الأولى إلى تفوق هذا الشاعر وتميزه في تناول الموضوعات ، وبالتالي فهو يحتاج إلى مترجم جيد متمرس كي يقدمه بالصورة الصحيحة ، وإلا فسوف تكون النتيجة عكسية ، ويضيع الوقت والجهد وكذلك الفكر ما بين وسيط غير مستوعب للموضوع ولا يعرف كيف ينقله ، وبين شاعر يبني قصوره على رمال متحرك .

هوامش

1 - د / أمجد حسن سيد أحمد – شاعر الشرق محمد إقبال – صـ 12 – القاهرة – مصر- 1997م .

2 – يذكر د/ سمير عبد الحميد إبراهيم أن غلام أحمد برويز أسس فرقة تدعى البرويزية لهاتجاهات خطيرة على الإسلام ، فهو ينكر الحديث كلية ، ولا يؤمن إلا بالقرآن ، وقد أشار القصاص الباكستاني الشهير نسيم حجازي إلى أن عزام لم يكن يعلم عن اتجاه برويز هذا انظر : د / سمير عبد الحميد إبراهيم – الأسرار والرموز – ترجمة د / عبد الوهاب عزام – صـ 89 ، 90 – القاهرة – مصر 1981م.

3 – د / عبد الوهاب عزام – ضرب الكليم – المقدمة صـ ب – القاهرة 1952م .

4 – كليات إقبال – صـ 598 – لاهور – باكستان 1986م /

5 – المرجع السابق – صـ 599 .

6 – المرجع السابق – صـ 605

7 – د. نعمات فؤاد – شخصية مبدعة ونسيج فريد، مقالة في مجلة العربي الكويتية – صـ 124 – العدد 305 – ابريل– 1984م.

8 – مقدمة ترجمة ضرب الكليم – صـ هـ .

9 – المرجع السابق – صـ و .

10 – المرجع السابق – صـ ز .

11 – د / سمير عبد الحميد إبراهيم – ديوان الأسرار والرموز – مقدمة الدكتور عبد الوهاب عزام – صـ 8

12 – د / عبد الوهاب عزام – ضرب الكليم – صـ 66 , كليات إقبال صـ 554 .

13 – ترجمة ضرب الكليم – صـ 68 ، كليات إقبال صـ 557 .

14 – ترجمة ضرب الكليم – صـ 83 ، كليات إقبال صـ 578 .

15 – عبد المعين الملوحي – ديوان جناح جبريل – صـ 12 – دمشق 1987م .

16 – زهير ظاظا – ديوان جناح جبريل – صـ 6 – دمشق 1989م .

17 – المرجع السابق – صـ 5 .
18 – المرجع السابق – صـ 6 .
19 – المرجع السابق – صـ 7 .
20 – كليات إقبال – صـ9 .
21 – كليات إقبال – صـ 462 .
22- كليات إقبال – صـ 462 .
23 – كليات إقبال – صـ 440 .
24 – عبد المعين الملوحي – ديوان جناح جبريل – صـ 223 .
25 – زهير ظاظا – ديوان جناح جبريل – صـ 321 .
26 – كليات إقبال – صـ 423 .
27 – عبد العين الملوحي – ديوان جناح جبريل – صـ 227 .
28 – زهير ظاظا – ديوان جناح جبريل – صـ 329 .
29 – كليات إقبال – صـ 299 .
30 – زهير ظاظا – ديوان جناح جبريل – صـ 23 .
31 – المرجع السابق – صـ 6 .
32 – محمد محمود الزبيري من أكبر شعراء اليمن،ولد عام 1919م في أسرة تنتمي إلى الطبقة المتوسطة، ويشتغل بعض أفرادها بالقضاء،والبعض بالتجارة،ودرس بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة،وعاد إلى اليمن قبل أن يكمل دراسته ، وتولى وزارة المعارف في حكومة الانقلاب الأولى باليمن عام 1948م ، وفي الشهور الأولى لتوليه الوزارة ذهب كعضو في وفد يماني للتباحث مع وفد الجامعة العربية برئاسة عبد الرحمن عزام باشا ، وللتباحث أيضا مع حكومة المملكة العربية السعودية ، ولما تعثرت المفاوضات قرر العودة إلى صنعاء كانت المدينة قد سقطت في يد الثوار ، وكان عليه أن ينجو بنفسه ، فعاد من السعودية إلى عدن ، ومنها فر على ظهر باخرة إلى الهند ، ومنها إلى باكستان ، وهناك عاش حياة صعبة حتى أنه كان يتخفى ليلا ويبيع الأقفال والمفاتيح كي يجد ما يقتات به ، وظل بباكستان خمس سنوات ، ثم جاء إلى مصر بدعوة من حكومة الثورة المصرية عام 1956م ، وظل بمصر حتى قيام الثورة اليمنية في السادس والعشرين من سبتمبر عام 1962م ، وتولى منصب نائب رئيس الوزراء إلى أن اغتيل في 31 مارس عام 1965م . وللزبيري ثلاثة دواوين شعرية هي : صلاة في الجحيم و ثورة الشعر ونقطة في الظلام .
33- ديوان الزبيري – صـ 352 – بيروت 1986م .
34 – المرجع السابق – صـ 493 .
35 – المرجع السابق – صـ 486 .
36 – المرجع السابق – صـ 501 . 36 – المرجع السابق – صـ 493
37 – كليات إقبال – 401 .
38 – ديوان الزبيري – صـ 648 .
39 – كليات إقبال – 267 .
40 – د / أمجد حسن سيد أحمد – شاعر الشرق – صـ
41 – مولانا ألطاف حسين حالي من كبار شعراء الأردية ، وأحد مؤسسي الشعر الأردي الحديث ، وأشهر منظوماته هي منظومة " مد وجزر إسلام " ، وتوفي عام 1914م .
42 – حفيظ جالندهري من شعرا الأردية المشهورين ، واشتهر بشاهنامه اسلام ، وهو الذي

كتب النشيد الوطني لباكستان .

43 – أحمد رضا خان بريلوي مؤسس فرقة البريلوية في شبه القارة الهندو باكستانية ، وله مؤلفات كثيرة بالعربية ، وتوفي عام 1921م .

44 – محمد محمود الزبيري – ثورة الشعر – صـ 129 – صنعاء 1985م .

45 – ديوان الزبيري – صـ 600 .

46 – حالي – مد وجزر اسلام – صـ52 - باكستان 1900م .

47 – ديوان الزبيري – صـ 497 .

48 – د/ حسين مجيب المصري – الإسلام بين مد وجزر – صـ 56 – القاهرة 1990م . 49 – المرجع السابق – صـ 57 .

50 – د/حسين مجيب المصـري – غزوات الرسـول بين شعراء الشعوب الإسلامية – صـ 190 – القاهرة 2000م .

51 – المرجع السابق – صـ 202 .

52 – أحمد رضا خان بريلوي – حدائق بخشش – صـ 13 ت كراتشي 1325هـ .

53 – د/حسين مجيب المصري – صفوة المديح – صـ 246 – القاهرة 2001م .

54 – الصاوي علي شعلان – إيوان إقبال – صـ هـ - القاهرة 1977م .

55 – المرجع السابق – صـ د

56 – عبد المعين الملوحي – ديوان جناح جبريل – صـ 43 .

أهم المراجع :

1 - د / أمجد حسن سيد أحمد ، د . إبراهيم محمد إبراهيم – شاعر الشرق محمد إقبال – القاهرة – مصر - 1997م .

2 - د / سمير عبد الحميد إبراهيم – الأسرار والرموز – ترجمة د / عبد الوهاب عزام – القاهرة – مصر 1981م.

3 – د / عبد الوهاب عزام – ضرب الكليم – القاهرة 1952م .

4 – كليات إقبال – لاهور – باكستان 1986م /

5 – د. نعمات فؤاد – شخصية مبدعة ونسيج فريد، مقالة في مجلة العربي الكويتية – العدد 305 – ابريل– 1984م.

6 – عبد المعين الملوحي – ديوان جناح جبريل – دمشق 1987م .

7 – زهير ظاظا – ديوان جناح جبريل – دمشق 1989م .

8- ديوان الزبيري – بيروت 1986م .

9 – محمد محمود الزبيري – ثورة الشعر – صنعاء 1985م .

10 – د/ حسين مجيب المصري – الإسلام بين مد وجزر – القاهرة 1990م .

11 – د/حسين مجيب المصري – غزوات الرسول بين شعراء الشعوب الإسلامية – القاهرة 2000م .

12 – أحمد رضا خان بريلوي – حدائق بخشش – كراتشي 1325هـ .

13 – د/حسين مجيب المصري – صفوة المديح – القاهرة 2001م .

14 – الصاوي علي شعلان – إيوان إقبال – القاهرة 1977م .